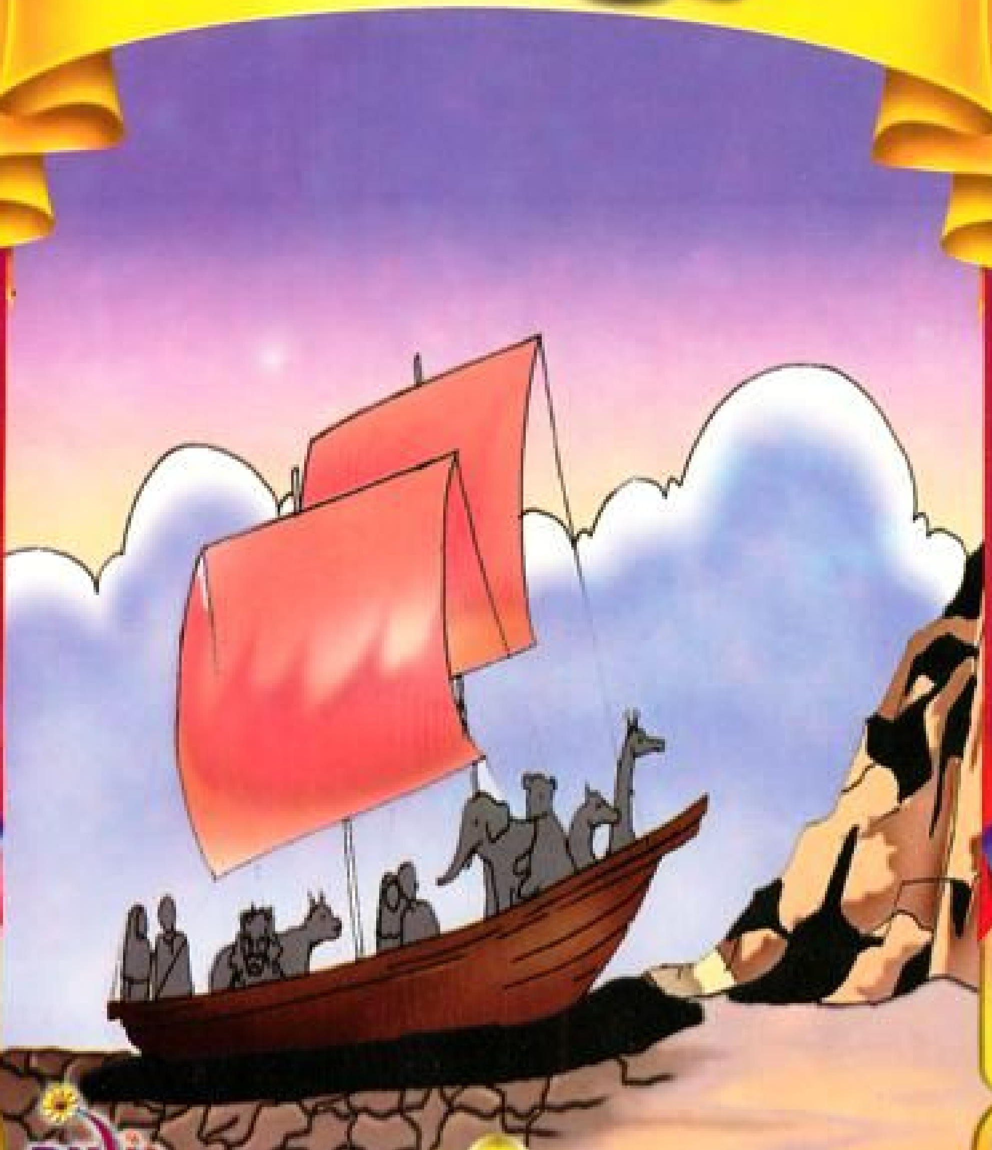
سلسلة قصص الأنبياء والمرسلين

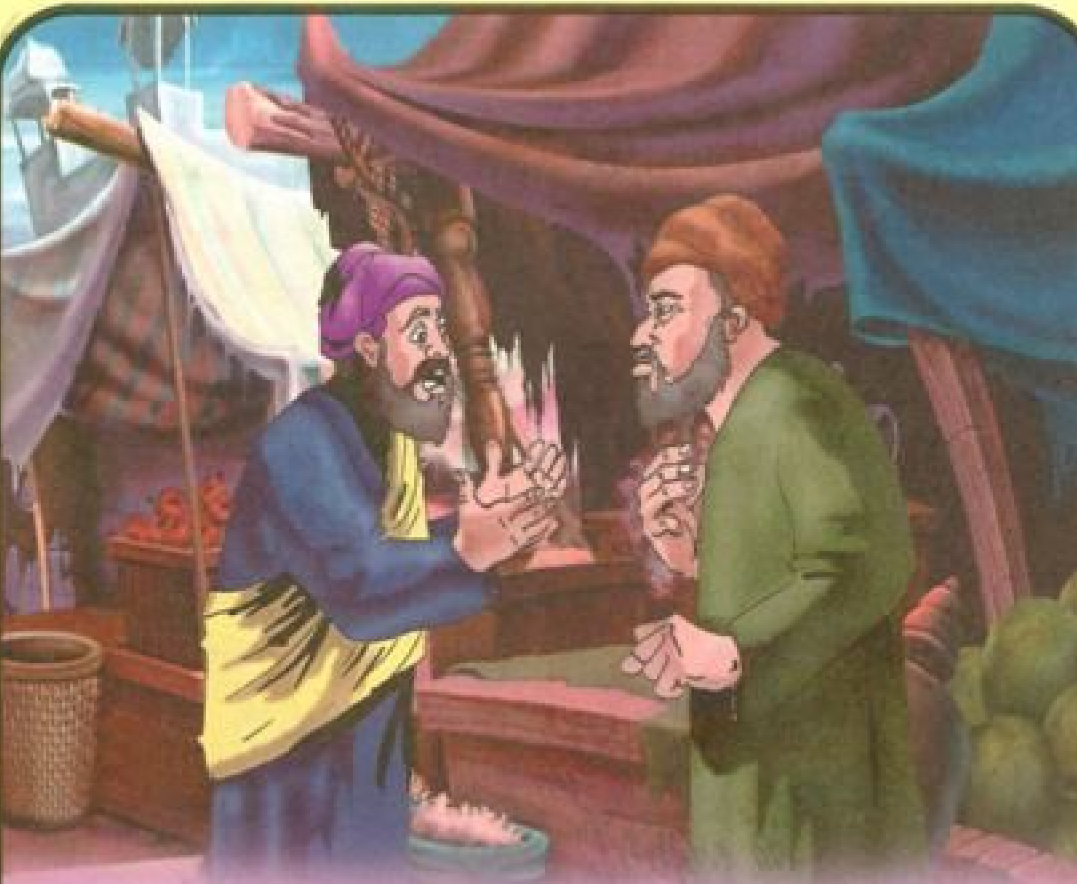
نوح عليه السلام



مات آدم عليه السلام ، واشتهر خمسة رجال بالصلاح هم ود وسواع ويغوث ويعوق ونسرا ، وأحبهم الناس حباً شديداً، وبعد موتهم حزن عليهم الناس حزناً شديداً، وصنعوا لهم تماثيل لكي يذكرونهم دائماً .

ثم مات أولئك الذين صنعوا التماثيل ، وجاء بعدهم أبناءهم ثم ماتوا ، ثم جاء بعدهم أبناء أبناءهم ، ولم يعرفوا لماذا صنعت هذه التماثيل ، واستغل الشيطان هذه الفرصة وأغواهم وأقنعهم بأن هذه آلهة ، وبدأوا يعبدونها من دون الله ، ومن هنا ظهر الشرك والكفر .





كان نوحاً عليه السلام عظيماً في قومه ، واختاره الله واصطفاه علي بقية الخلق ليدعوهم إلي عبادة الله وترك الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ، واختاره الله ليس لأنه أغني قومه أو السيد علي القوم أو الحاكم وإنما لطهارة قلبه وصفاءه ونقاء عقيدته.

واختاره الله أيضاً لسبب آخر وهو أنه كان دائم الشكر. فإذا أكل أو شرب حمد الله وشكره ، وإذا لبس ثوبه شكر الله ، وإذا خرج أو دخل في بيته شكر الله ، ولذلك قال الله سبحانه وتعالي عنه : (إنه كان عبداً شكوراً).

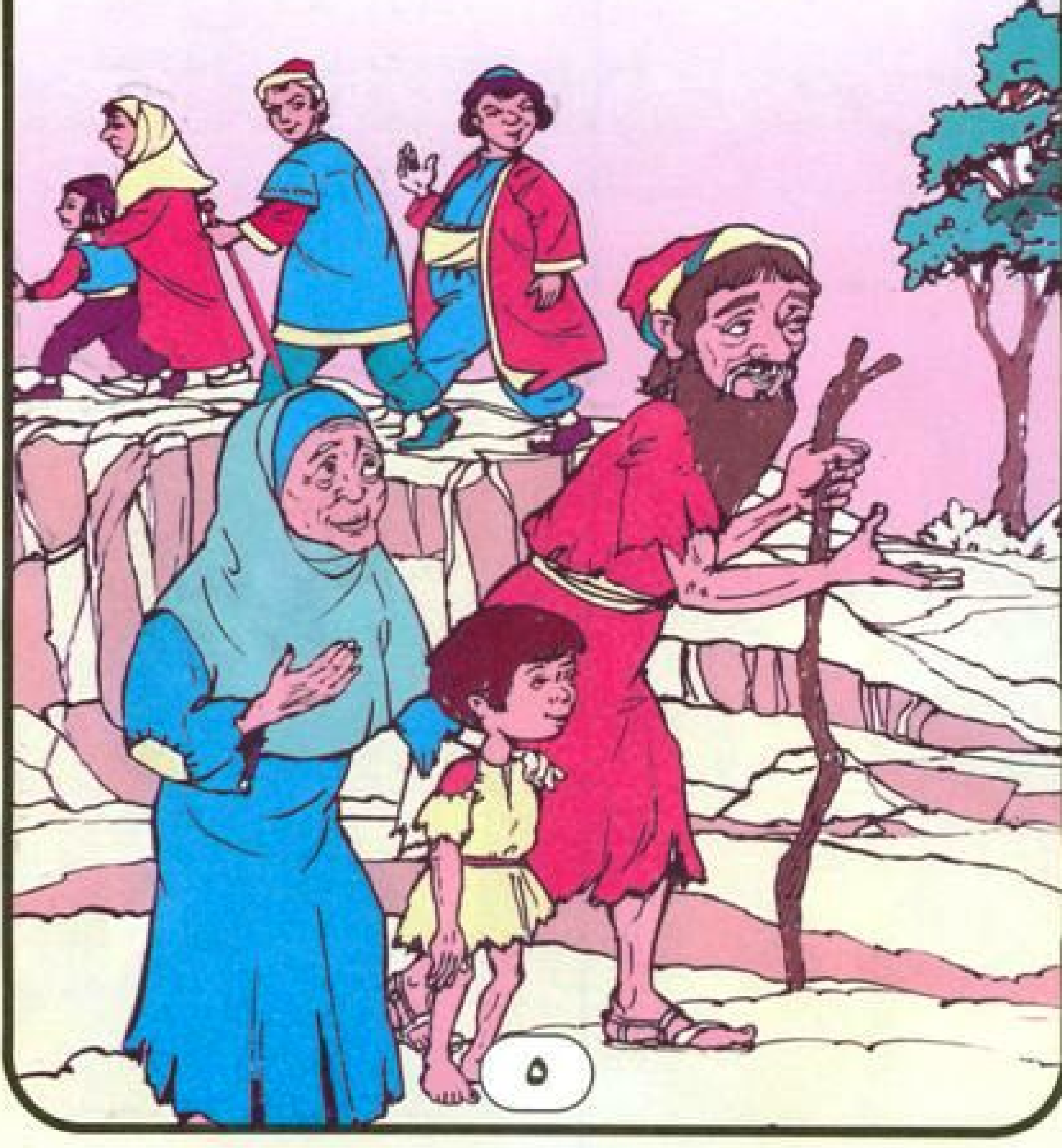
فاختاره الله ليكون رسولاً ونبياً علي قومه ، يدعوهم إلي عبادة الله وعدم الشرك به .

ظل نوح يدعو قومه ويبذل ما في وسعه ويدعو قومه إلي عبادة الله وترك الأصنام ، وأخذ يدعوهم زمنا طويلا ، مرة بالنصح ومرة بالتدبر والنظر في خلق الله وبالنظر في أنفسهم وما أعطاهم الله من نعمة العقل وعبادة غير الله ظلم وموت للعقل .

وكان يدعوهم سرا وعلانية ويبين لهم أن الشيطان قد خدعهم ، وحان الوقت ليتوقفوا عن هذه الخدعة ، ولم يطلب من دعوته أجرا منهم إنما الأجر من الله إلا أنهم ازدادوا كفرا وعنادا .



استجاب لدعوة سيدنا نوح عدد قليل من الفقراء والضعفاء أما الأغنياء الأقوياء والحكام فلم يستجيبوا لدعوته ، ولم تؤمن به زوجته وأحد أبنائه وقالوا كيف يكون الرسول بشراً مثلهم؟! ، وبين لهم سيدنا نوح أنه بشر ، ولو كان علي الأرض ملائكة لكان الرسول من الملائكة ، ولكنهم بشر فيكون الرسول بشر مثلهم .



أخذ الكفار يهاجمون سيدنا نوح ويقولون له لقد آمن بك الفقراء والضعفاء ، فرد عليهم سيدنا نوح بأن هؤلاء الفقراء والضعفاء قد آمنوا بالله والله أعلم بما فى أنفسهم ولجأ الكفار إلي المساومة وقالوا لنوح عليه السلام : إذا أردت أن نؤمن فاطرد هؤلاء الفقراء والضعفاء لأنه من المستحيل أن تضمنا نحن الأغنياء الأقوياء والحكام دعوة واحدة ، فرد عليهم نوح عليه السلام بأنه ليس من حقه أن يطرد من يشاء .

وبعد هذه المحاولة لجأوا إلي سوء الأدب مع النبي نوح عليه السلام وشتموه : (قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في ضلال مبين) فرد عليهم بأدب عظيم : (قال يا قوم ليس بي ضلالة وإني رسولاً من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون) .



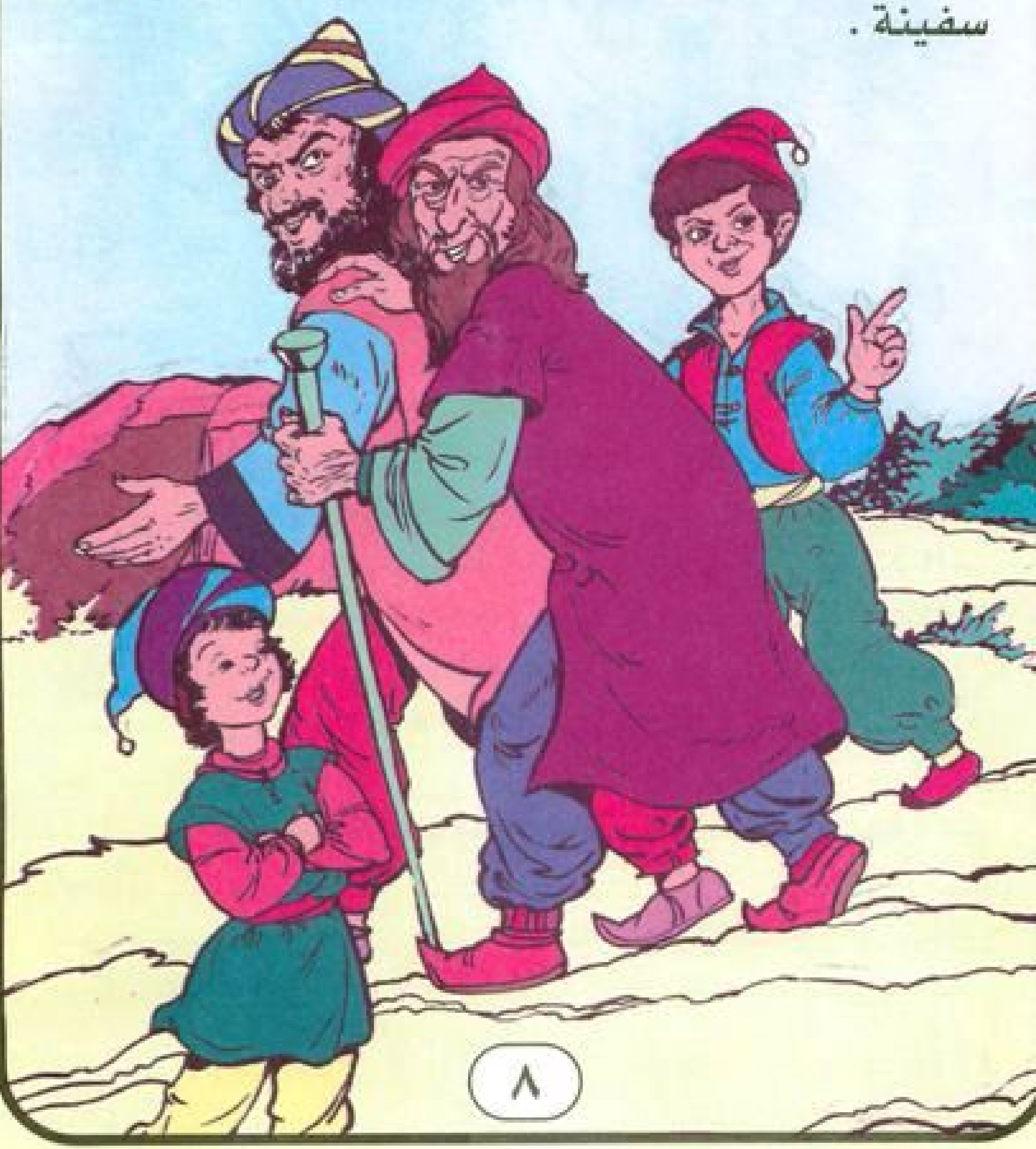


كان الكافرون في قمة العناد والكفر وكانوا لا يطيقون سماع سيدنا نوح عليه السلام ، حتي أن بعضهم حينما كانوا يرون نوح عليه السلام يعرضون عن عبادة الله يضعون أصابعهم في آذانهم حتي لا يسمعوا كلام سيدنا نوح ، وكانوا يضعون ثيابهم علي وجوههم حتي لا يروه ، واستمر هذا الأمر فترة طويلة حتي طلبوا منه أن يأتيهم بعذاب الله .

يا إلهي يطلبون العذاب بأنفسهم فقد صموا وعموا عن الحق.

لكن سيدنا نوح حزن عند سماعه قول الكفار ولم ييأس ، وكان عنده أمل في أن يؤمنوا بالله وحده لا شريك له .

أخذ نوح عليه السلام يدعوا قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وأصبح عدد المومنين قليل وعدد الكافرين كثير ، وأوحي الله إلي سيدنا نوح عليه السلام أنه لن يؤمن من قومك إلا الذين آمنوا معك ، وفي هذه اللحظة دعا نوح علي كفار قومه (رب لا تذر علي الأرض من الكافرين دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) فاستجاب الله لدعوة نبيه وأمره سبحانه وتعالي أن يصنع سفينة .



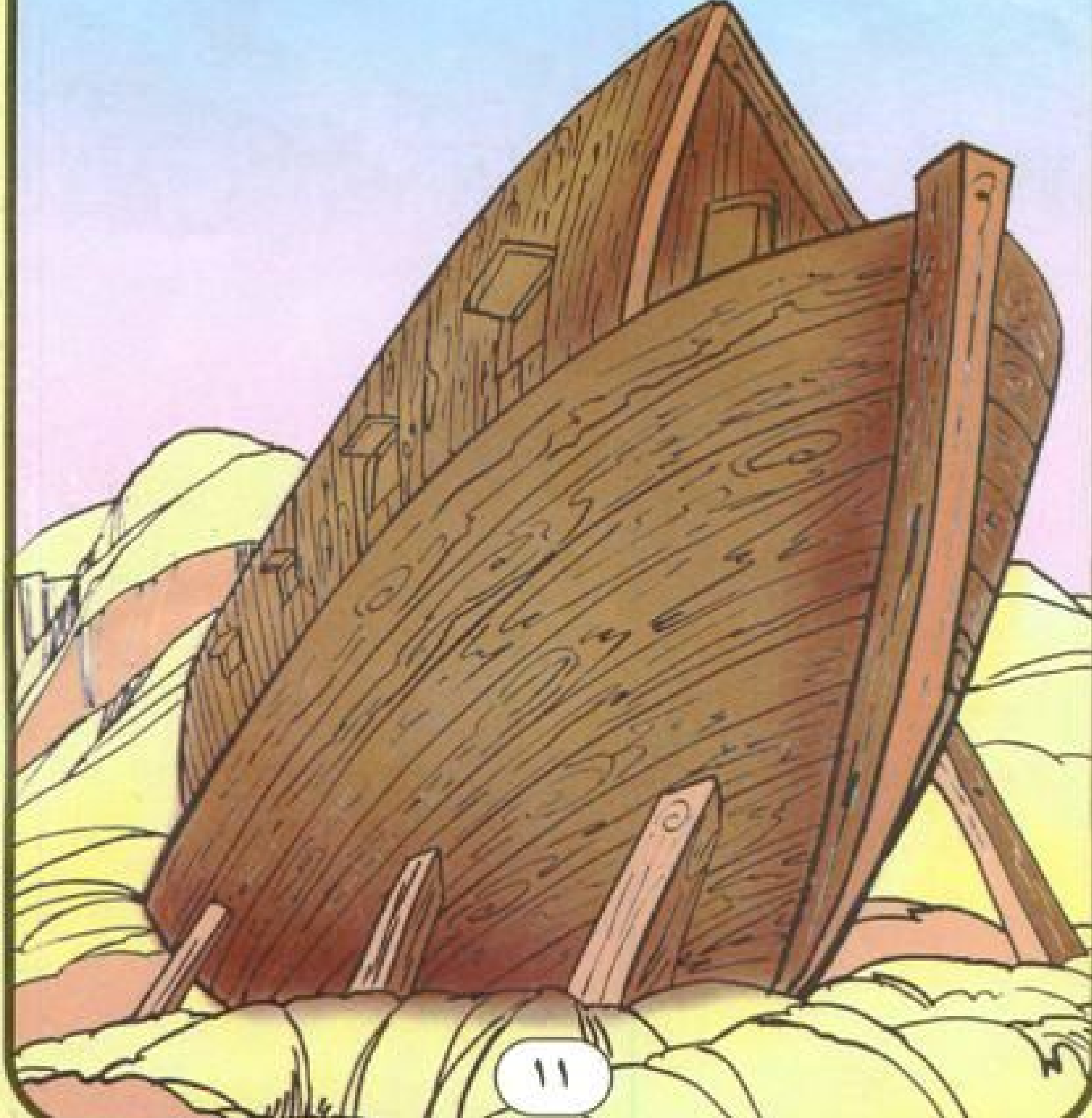
وبعد أن أمر الله سيدنا نوح بأن يصنع سفينة بدأ في صنعها ومعه المؤمنون وأخذوا الألواح وبدأوا يصنعون هذه السفينة ، وكان كلما مر الكافرون يسخرون من نوح ومن معه من المؤمنين بصناعته لهذه السفينة إذ كيف تسبح في الصحراء التي لا ماء فيها وكانوا يسخرون أكثر عندما علموا أن هذه السفينة سوف ينجوا بها هو ومن معه ، وكان نوح عليه السلام يسخر منهم لغفلتهم عن الحق ، وكانت السفينة كبيرة الحجم وكانت ثلاثة طبقات الطبقة العليا للطيور والوسطي للناس والسفلى للوحوش



وبعدما صنعت السفينة واقترب الطوفان كانت علامة اقترابه أن يخرج الماء من الفرن الكائن فى بيت سيدنا نوح عليه السلام ، وأمره الله أن يحمل علي السفينة من كل زوجين اثنين من الطيور والوحوش والحيوانات ، من الحمام ذكر وأنثي وعصفور وأنثاه وفيل وأنثاه ، وكلا دخل في مكانه المعد له ، ودخل المؤمنون السفينة وكان عددهم قليل .



وبدأ الطوفان وأمر الله السماء أن تمطر والأرض أن تنفجر بالماء ، وأخذ الطوفان يعلو ويعلو ، وأخذ الكفار يهربون هنا وهناك وفي أعالي الجبال لعلهم يجدون مكان يحميهم ، ولكن هيهات .





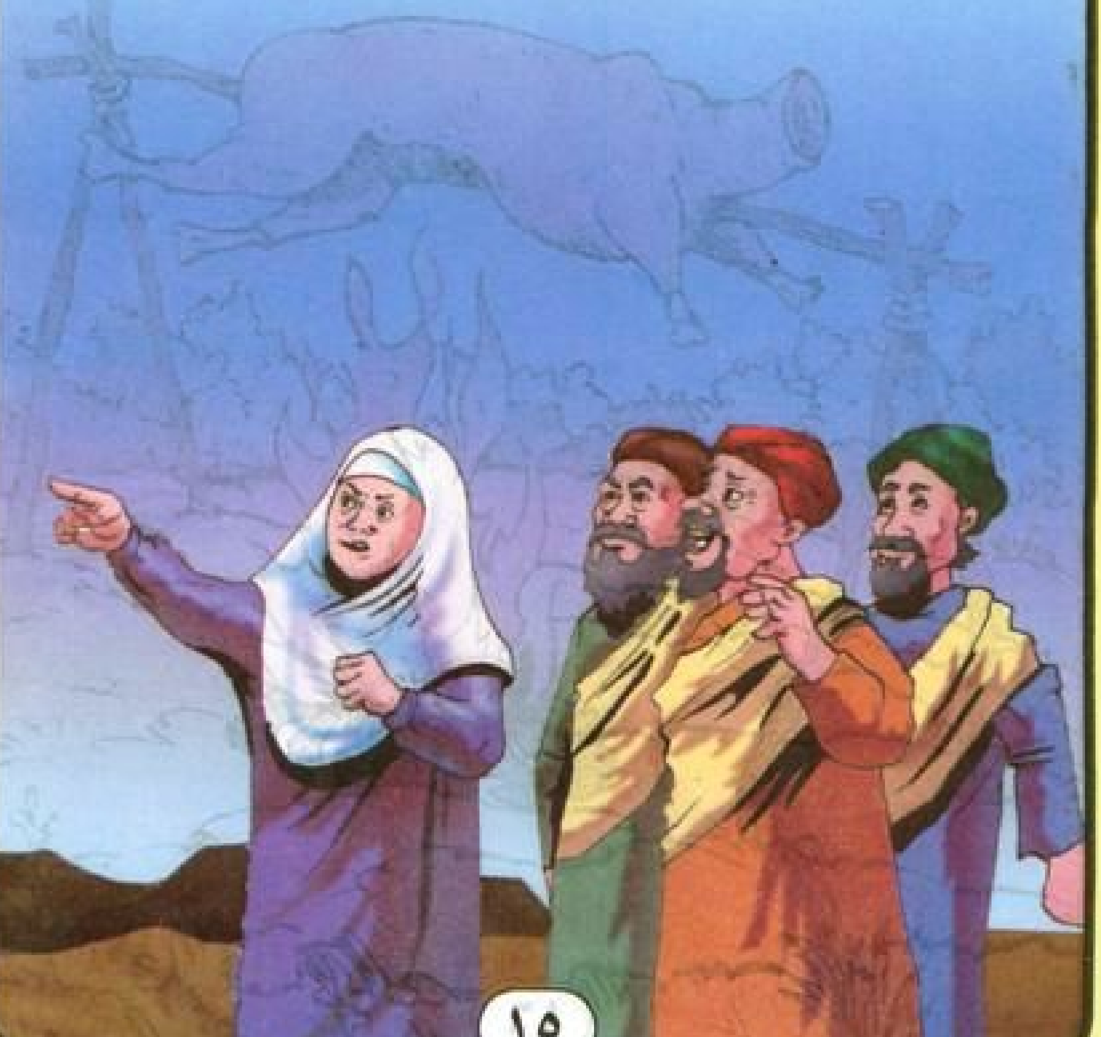
وأخذ نوح يدعو ابنه ليركب معه السفينة بعد أن دعاه إلي الإيمان بالله (يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) ، لكن رد عليه ابنه بأنه سيذهب إلى أعلي الجبل (سآوي إلى جبل يعصمني من الماء) ظنًا منه أن الماء لا يصل إلى أعلى رؤوس الجبال ، فرد عليه نوح (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) وتسابق الجميع إلى رؤوس الجبال ، ولكن أهلكهم الله جميعاً .



أمر الله سبحانه وتعالي بأن تكف السماء عن المطر وتبتلع الأرض الماء ، فتوقفت السماء عن المطر وابتلعت الأرض الماء ورست السفينة علي جبل يسمى الجودي وهو اسم مكان قديم .

قال تعالي : " قيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت علي الجودي وقيل بعد للقوم الظالمين وأرسل سيدنا نوح حمامة لتستطلع الأمر فجاءت وفي فمها غصن زيتون ، مما ينبئ أن الطوفان قد توقف ، ثم أمر الله نوحا أن يهبط من السفينة هو ومن معه ، وهبط المؤمنون من السفينة بعد أن نجاهم الله منها ، وخرجت من السفينة الطيور والحيوانات والوحوش وكل في سعادة عالية وإيمان بالله.

وتحركت في قلب نوح عليه السلام مشاعر الأبوة ، وأخذ يناشد ربه في أمر ولده ، قال:(ربي إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) فقد أراد نوح أن يقول لربه إن ابنه من أهله وأن الله وعده بنجاة أهله ، فقال الله تعالي له إن ابنه ليس من أهله لأنه لم يؤمن بالله ، وعاتب الله نوحاً لأنه لم يدرك ذلك ، فأخذ نوحا يدعو ربه ويستغفره فتاب الله عليه .



وبعد ما خرج نوح عليه السلام هو ومن آمن معه من السفينة ، أخذ يبني مكانًا ليتعبدوا فيه ، وأخذوا يأكلون ويشوون اللحم لأن النار كانت لا توقد في السفينة لأنها من الخشب ، ولو أوقدوا نارًا فيها لاحترقت ، وكان أول طعام يأكلوه مطبوخًا بعد ركوبهم في السفينة ، وعندما قرب أجل نوح أخذ يجمع أبناءه ووصاهم بأن لا يعبدوا غير الله ولا يشركوا به أحداً .

